خطبة عيد الفطر المبارك

لعام ١٤٤٤هجرية

كتبها

د. أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد آل عبد الجليل الأثري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خطبة عيد الفطر المبارك

لعام ١٤٤٤هجرية

كتبها

د. أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد آل عبد الجليل الأثري

شبكة الألوكة

www.alukah.net

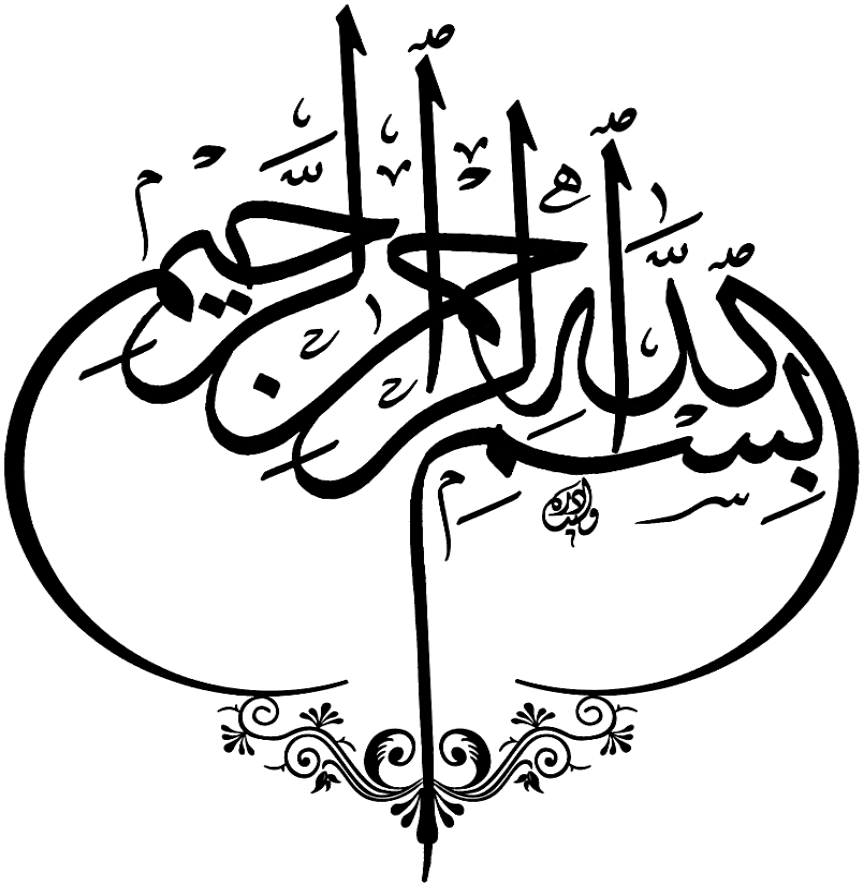
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فبين يدي القارئ الكريم (خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٤٤هجرية) والتي قمت بإلقائها في قريتي (قِلْفَاو)[1] بمحافظة سوهاج إحدى محافظات الصعيد بجمهورية مصر العربية، وقد قمت بتسجيلها، ومن ثم تفريغها وإعدادها للنشر ـ عسى الله أن ينفع بها، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

د. أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد آل عبد الجليل الأثري

alsalafy1433@hotmail.com

١- قِلْفَاو بكسر القاف وسكون اللام، قال ياقوت الحموي (المتوفى عام ٦٢٦هـ) في كتابه (معجم البلدان) (٤/ ٣٩١): (قِلْفَاو بكسر أوله وسكون ثانيه وفاء وآخره واو معربة صحيحة قرية بالصعيد على غربي النيل)اهـ

خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٤٤هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءلونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٤]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وبعد:

فأهنئ جميع الحضور وجميع الأمة الإسلامية بهذه المناسبة العظيمة وهي عيد الفطر المبارك، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وكل عام وأنتم بخير.

عباد الله، إن هذا اليوم هو يوم عيد الفطر المبارك، وقد وافق هذا اليوم يوم الجمعة، فاجتمع لكم في يومكم هذا عيدان، فإن النبي ﷺ قال عندما وافق يوم

٢- (سورة آل عمران آية: ١٠٢).

٣- (سورة النساء آية: ١).

٤- (سورة الأحزاب آية: ٧٠ – ٧١).

العيد يوم الجمعة: «قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون»[٥].

عباد الله، إن هذا هو يوم عيد الفطر المبارك، والفائز الحقيقي فيه هو الذي حرص على تصحيح صومه ليكون مقبولاً عند الله تبارك وتعالى، وحرص على الاستقامة وتحقيق تقوى الله تعالى، فصام رمضان إيماناً واحتساباً ليحظى بقول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦]. وقول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٧].

وحرص أيضاً على جميع أعمال الخير اقتداء بالنبي ﷺ، فقد صح أنه ﷺ كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان، كما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٨]

فهنيئاً للمسلم الذي حرص على تحقيق هذه الأمور حتى يحظى بالحكمة التي من أجلها شرع الله تبارك وتعالى الصوم يا عباد الله، فإن الله تعالى قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

٥- صحيح: رواه أبو داود (١٠٧٣) وابن ماجه (١٣١١) عن ابن عباس وأبي هريرة ، والبزار (٨٩٩٦) وابن الجارود (٣٠٢) والبيهقي في الكبرى (٦٢٨٧، ٦٢٨٨) والحاكم (١٠٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٥٥) طبعة دار العربية – بيروت، والألباني في تحقيقه على أبي داود وابن ماجه وفي صحيح الجامع (٤٣٦٥).

٦- متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).

٧- متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩).

٨- صحيح: رواه البخاري (٦، ١٩٠٢، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤).

آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٩] فالحكمة من فرضية الصوم هي التقوى يا عباد الله.

وإن المسلم الذي حقق الصوم تحقيقاً صحيحاً؛ فإن هذه التقوى التي حققها في شهر رمضان جديرة بأن تحمله على الاستقامة في سائر سنته يا عباد الله، لذلك ينبغي علينا أن نعلم أهمية التقوى، فإن كثيراً من الناس ربما يحرص على التقوى في رمضان فقط، فإذا جاء العيد رجع للمعاصي والذنوب مرة أخرى! وهذه نكسة يا عباد الله، فإن أهل العلم قالوا إن من علامة قبول الأعمال أن يتبع الطاعة بطاعة بعدها، وإن من النكسة أن يتبع الطاعة بمعصية عياذاً بالله تعالى.

وقد قال النبي ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١٠] وقال الله عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١١] أي طريق الخير والشر، فاختر لنفسك يا عبدالله أي الطريقين، فإذا اخترت طريق الخير؛ حظيت برضا الله تبارك وتعالى، وإذا اخترت طريق الشر؛ فلا تلومن إلا نفسك، وما أجمل ما قاله بعض الشعراء:

ليس السعيد الذي دنياه تسعده إن السعيد الذي ينجو من النار

٩- (سورة البقرة آية: ١٨٥).

١٠- صحيح: رواه مسلم (٢٢٣). **قال النووي في شرح مسلم**: (وأما قوله ﷺ «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» فمعناه: كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها، أي يهلكها، والله أعلم.)اهـ

وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: (ودلَّ الحديث على أن كل إنسان فهو ساعٍ في هلاك نفسه، أو في فكاكها، فمن سعى في طاعة الله؛ فقد باع نفسه لله وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله؛ فقد باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه...)اهـ

١١- (سورة البلد آية: ١٠).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: (﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي.)اهـ

وقال بعضهم:

لعمرك ما السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للأتقى مزيـد

وقال بعضهم:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسيا

وخير خصال المرء طاعــة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

عباد الله، لابد أن نعلم أن المعاصي والذنوب شؤمها عظيم على الفرد والمجتمع، فإن تقوى الله تعالى سبب من أسباب البركة وزيادة الرزق، كما أن المعاصي والذنوب سبب من أسباب الضيق ونزول البلاء من رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٢].

١٢- (سورة الأعراف آية: ٩٦).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٣): (يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ الذين أرسلنا إليهم رسلنا الذين ذكرت لك يا محمد نبأهم في هذه السورة وغيرها، ﴿آمَنُوا﴾ يقول: صدقوا الله ورسله، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ يقول: واتقوا الله فخافوا عذابه بتجنبهم ما يكرهه من أعمالهم، والإنابة إلى ما يحبه منهم من العمل بطاعته، ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ﴾ يقول: لأرسلنا عليهم من السماء الأمطار، وأنبتنا لهم من الأرض بها النبات، ورفعنا عنهم القحوط والجدوب، وذلك من بركات السماء والأرض. وأصل البركة المواظبة على الشيء، يقال: قد بارك فلان على فلان؛ إذا واظب عليه، والمباركة نحو المواظبة، فكأن قوله: ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ﴾ ما يتتابع عليهم من خير السماء والأرض، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ يقول: ولكن كذبوا بالله ورسله، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فعجلنا لهم العقوبات بكسبهم الخبيث وعملهم الرديء، وذلك كفرهم بالله وآياته.)اهـ

و **قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٥١)**: (وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ أي: آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل، وصدقت به واتبعته، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات، ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١٣].

وقال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٤].

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ أي: قطر السماء ونبات الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: ولكن كذبوا رسلهم، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم.)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: (لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل يبتلون بالضراء موعظة وإنذاراً، وبالسراء استدراجاً ومكراً، ذكر أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بترك جميع ما حرم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو أخذهم بجميع ما كسبوا ما ترك عليها من دابة.)اهـ

١٣- (سورة الطلاق آية: ٢-٣).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره(٨/ ١٤٦): (وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله.)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: (وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله وقع في الشدائد والآصار والأغلال التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها. وقوله ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ أي: يسوق الله الرزق للمتقي من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.)اهـ

١٤- (سورة الروم آية: ٤١). **قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٢٠):** (ومعنى قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي. وقال أبو العالية:

فلابد أن نكون على معرفة بهذه الأمور يا عباد الله، فالذي وفقه الله عز وجل إلى الطاعة؛ ينبغي عليه أن يحرص على طاعة الله تبارك وتعالى، والذي حصل منه شيء من التقصير؛ ينبغي أن يستغفر الله ويتوب إليه حتى يحظى برضا الله تبارك وتعالى، فإن العبد بطبيعته أنه بشر تعتريه الفترة والفترة، فقد يكون على الطاعة وتزل قدمه

من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً». والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس -أو أكثرهم، أو كثير منهم- عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محاق البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، وهو تركها -فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ولهذا ثبت في الصحيح: «إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب». ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف، عن أبي قحذم قال: وجد رجل في زمان زياد -أو: ابن زياد -صرة فيها حب، يعني من بر أمثال النوى، عليه مكتوب: هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل. وروى مالك عن زيد بن أسلم: أن المراد بالفساد هاهنا الشرك، وفيه نظر. وقوله: ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبارا منه، ومجازاة على صنيعهم، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: عن المعاصي.)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: (أي: استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها. هذه المذكورة ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم بلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.)اهـ

ويقع في المعصية، ولكن المسلم الذكي هو الذي إذا وقع في معصية رجع إلى الله تبارك وتعالى، والنبي ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[١٥] أي اتق الله يا عبد الله في السر والعلانية، وإذا فعلت سيئة ووقعت في معصية؛ فأتبع هذه السيئة بفعل حسنة، وهي التوبة من هذه السيئة يا عباد الله.

ولا ينبغي للمسلم أن ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى[١٦]، فإذا كان الواحد منا قد وقع في شيء من الذنوب؛ فليبادر بالتوبة إلى الله عز وجل، ويعلم أن العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات[١٧]، قال الإمام الكبير الفضيل بن عياض -رحمه الله- لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل:

١٥- صحيح: رواه أحمد (٢١٣٥٤) وابن الجعد (٣١٢) والترمذي (١٩٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والدارمي (٢٧٩١) والطبراني في الكبير (٢٠ / ح ٢٩٧، ٢٩٨/ ص ١٤٥) والأوسط (٣٧٧٩) والصغير (٥٣٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧٨) والحاكم (١٧٨) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧) والمشكاة (٥٠٨٣).

١٦- لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

١٧- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى** (١٠/ ٣١٠): (وإذا عرف أن الاعتبار بكمال النهاية، وهذا الكمال إنما يحصل بالتوبة والاستغفار، ولا بد لكل عبد من التوبة، وهي واجبة على الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.)اهـ **وقال أيضاً**: (فالعبد المؤمن إذا تاب وبدل الله سيئاته حسنات؛ انقلب ما كان يضره من السيئات بسبب توبته حسنات ينفعه الله بها، فلم تبق الذنوب بعد التوبة مضرة له، بل كانت توبته منها من أنفع الأمور له، والاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية.)اهـ وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا القول في مواضع أخرى من كتبه.

تعلم ما تقول؟ قال الرجل: قلت إنا لله وإنا اليه راجعون. قال الفضيل: تعلم ما تفسيره؟ قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي، قال قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: تستره، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك أن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي[١٨].

وهذه فائدة عظيمة من الإمام الكبير الفضيل بن عياض، والنبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالخواتيم»[١٩].

١٨- رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١١٣). **تنبيهان: التنبيه الأول**: يذكر بعض المشايخ الفضلاء هذه الحكاية عن الإمام الحسن البصري، والصواب أنها وردت عن الفضيل بن عياض.

التنبيه الثاني: روي هذا المعنى في حديث رواه الطبراني في الأوسط (٦٨٠٦) وفي مسند الشاميين (٦٦٤) قال: حدثنا محمد بن هارون، نا سليمان بن عبد الرحمن، نا يحيى بن حمزة، عن الوضين بن عطاء، عن يزيد بن مرثد عن أبي ذر قال عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١/ ٨٠): (رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.)اهـ وكلام الهيثمي فيه نظر، فإن أهل العلم ذكروا أن رواية يزيد بن مرثد عن أبي ذر مرسلة، وبقية الإسناد لا يخلو من كلام، **فالصواب أنه حديث ضعيف**.

وقد رواه قوام السنة الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٥٢) وأبو طاهر السلفي في الطيوريات (١٣٠، ٢٧٥) عن الفضيل بن عياض.

قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٦٥): (قال النجم لم أجده في الحديث المرفوع، وإنما أخرجه الأصبهاني في الترغيب عن الفضيل بن عياض من قوله. وفي معناه ما أخرجه الشيخان وابن ماجه عن ابن مسعود «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».)اهـ

١٩- صحيح: رواه البخاري (٦٦٠٧).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نعلم يا عباد الله أن أمراض البدن قد بين أهل العلم أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أمراض حسية، وهذه يكون علاجها بالأدوية والذهاب إلى الأطباء ونحو ذلك والتضرع إلى الله عز وجل بالدعاء وكذلك الرقية الشرعية.

والقسم الثاني: أمراض معنوية تطرأ على القلب، وهذه الأمراض المعنوية تكون في الشبهات والشهوات، فإن الأمراض المعنوية التي تطرأ على العبد إما أمراض شهوات وإما أمراض شبهات، وكلا هذين النوعين يكون دفعه بتعلم العلم الشرعي فإن الجهل داء قاتل يا عباد الله، والجاهل فريسة للشيطان، ولذلك قال أهل العلم: (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[٢٠]، وقد قال ابن القيم -رحمه الله-:

والجهل داء قاتل وشفـــاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سـنة وطبيب ذاك العالم الرباني

فلذلك ينبغي على المسلم أن يحرص على تعلم العلم الشرعي حتى يقاوم الشهوات، وحتى يقاوم الشبهات، فيحذر المعاصي ويحذر البدع التي توقعه في غضب رب العالمين سبحانه وتعالى.

عباد الله، من الجدير بالذكر أيضاً أن نحافظ على قراءة القرآن الكريم كما كنا نقرأ في رمضان، فالذي كان يقرأ جزءاً في يومه أو أكثر من ذلك؛ جدير به أن يحرص على قراءة هذا الكم أو يزيد عليه ليكون قد حقق الفائدة المرجوة، والنبي ﷺ قال:

٢٠- روي هذا القول في حديث ولكنه ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ، وأما من جهة المعنى فإن معناه صحيح، وذلك لأن العابد قد يعبد الله على جهل، وقد يقع في البدع والمنكرات، ويكون فريسة سهلة للشيطان لعدم علمه بأحكام الشريعة، وأما الفقيه السائر على منهج السلف الصالح؛ فإنه يعبد الله على بصيرة، ويحذر مداخل الشيطان ويرد البدع والمنكرات.

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٢١] .

عباد الله، من الجدير بالذكر أيضاً أن نحافظ على قيام الليل بقدر ما نستطيع، فإن أفضل الصلاة بعد الصلاة المفروضة هي قيام الليل، كما بين النبي ﷺ في قوله: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل»[٢٢].

فحري بنا أن نجد ونجتهد في ذلك، ومن الجدير بالذكر أن المعاصي والذنوب؛ سبب من أسباب حرمان قيام الليل يا عباد الله، لذلك ينبغي علينا أن نجاهد أنفسنا حتى نحقق هذا الأمر العظيم، وما أجمل ما قاله بعض أهل العلم:

يا رجال الليل جـــدوا رب داع لا يـــردُ
ما يقوم الليـــــل إلا من له عزم وجـدُ
ليس شـيء كصـــلاة الليل للقبر يـعـدُ

فحري بنا يا عباد الله أن نعزم على قيام الليل، ونجد ونجتهد في ذلك؛ لنحظى بالأجر الوفير من الله تبارك وتعالى.

عباد الله، من الجدير بالذكر أن نحرص على تعلم العلم الشرعي كما ذكرت، لنواجه الشبهات التي يبثها العلمانيون والزنادقة في كل وقت، ومن ذلك ما بثه هؤلاء في شهر رمضان ليفسدوا على الناس صيامهم، ويوقعوهم في المعاصي ويوقعوهم في الشبهات، فترى هؤلاء يقومون بتمثيل أحد الأئمة العظام، ويشوهون صورته ويذكرون له كلاماً لم يقل به هذا الإمام ليستقر عند الناس هذا الباطل، وليتم تشويه أئمة الإسلام يا عباد الله.

٢١- صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧) وفي صحيح الجامع (٦٤٦٩).

٢٢- صحيح: رواه مسلم (١١٦٣).

فحري بنا أن نحذر من هذه الأشياء وأن نعلم عظمة أئمة الإسلام رحمهم الله تعالى، وأن الله تعالى حفظ بهم الدين فإن الله تعالى قد قيض لحفظ هذا الدين أئمة في كل زمان ومكان.

ومن الجدير بالذكر قبل الختام أن ننبه على بعض التنبيهات:

التنبيه الأول: أن هذا اليوم يوم عيد الفطر قد وافق يوم الجمعة، وقد قال النبي ﷺ:«قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون»[٢٣] وقد استنبط أهل العلم من هذا الحديث أن من حضر صلاة العيد فإنه يرخص له في التخلف عن حضور الجمعة ويصليها مع جماعة أهله في بيته ظهراً، وأما من لم يحضر العيد فلا رخصة له، وبينوا أيضاً أن الأفضل حضور الجمعة كما حضر العيد[٢٤].

٢٣- صحيح: سبق تخريجه.

٢٤- **قال الإمام ابن قدامة في كتابه المغني (٣/ ٢٤٢-٢٤٣)**: (وإن اتفق عيد في يوم جمعة، سقط حضور الجمعة عمن صلى العيد، إلا الإمام، فإنها لا تسقط عنه إلا أن لا يجتمع له من يصلي به الجمعة. وقيل: في وجوبها على الإمام روايتان، وممن قال بسقوطها الشعبي، والنخعي، والأوزاعي. وقيل: هذا مذهب عمر، وعثمان، وعلي، وسعيد، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وقال أكثر الفقهاء تجب الجمعة؛ لعموم الآية، والأخبار الدالة على وجوبها ولأنها صلاتان واجبتان، فلم تسقط إحداهما بالأخرى، كالظهر مع العيد. ولنا ما روى إياس بن أبي رملة الشامي قال: «شهدت معاوية يسأل زيد بن أرقم: هل شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم واحد؟ قال: نعم. قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد، ثم رخص في الجمعة، فقال: من شاء أن يصلي فليصل». رواه أبو داود والإمام أحمد، ولفظه «من شاء أن يجمع فليجمع». وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: « اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون» . رواه ابن ماجه. وعن ابن عمر، وابن عباس، عن النبي ﷺ نحو ذلك. ولأن الجمعة إنما زادت عن الظهر بالخطبة، وقد حصل سماعها في العيد، فأجزأ عن سماعها ثانياً، ولأن وقتها واحد بما بيناه، فسقطت إحداهما بالأخرى، كالجمعة مع الظهر، وما احتجوا به مخصوص بما رويناه، وقياسهم منقوض بالظهر مع الجمعة،

ومما يجدر التنبيه عليه أيضاً أن بعض الناس يروج قولاً أن من حضر صلاة العيد فإن صلاة الجمعة تسقط عنه بالكلية، فلا يصلي جمعة ولا ظهراً! وهذا قول شاذ وباطل، ينبغي الحذر والتحذير منه يا عباد الله.

التنبيه الثاني: أن من كان أفطر في رمضان يوماً أو أيام لعذر شرعي كالمرض والسفر، وبالنسبة للمرأة الحيض والنفاس فليبادر بقضاء هذه الأيام حتى يحقق طاعة الله تبارك وتعالى، فإن العبد لا يدري متى يأتيه الأجل، فليحرص على إتمام العمل يا عباد الله.

التنبيه الثالث: قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال:«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»[٢٥] أي كأنه صام السنة كلها، فجدير بمن رغب في تحصيل هذا الأجر أن يصوم هذه الستة أيام سواء متتالية أو متفرقة، ومن كان أفطر بعض الأيام في رمضان فليقض ما عليه أولاً ثم يصوم هذه الستة أيام[٢٦].

فأما الإمام فلم تسقط عنه؛ لقول النبي ﷺ: «وإنا مجمعون» ولأنه لو تركها لامتنع فعل الجمعة في حق من تجب عليه، ومن يريدها ممن سقطت عنه، بخلاف غيره من الناس.)اهـ

٢٥- صحيح: رواه مسلم (١١٦٤). **قال النووي في شرح مسلم**: (قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة، لأنه يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال، قال العلماء: وإنما كان ذلك كصيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين.)اهـ

٢٦- **قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع (٦/ ٤٦٦)**: (إن السنة أن يصومها بعد انتهاء قضاء رمضان لا قبله، فلو كان عليه قضاء ثم صام الستة قبل القضاء فإنه لا يحصل على ثوابها؛ لأن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان» ومن بقي عليه شيء منه فإنه لا يصح أن يقال إنه صام رمضان؛ بل صام بعضه، وليست هذه المسألة مبنيّة على الخلاف في صوم التطوع قبل القضاء؛ لأن هذا التطوع أعني صوم الست قيده النبي ﷺ بقيد وهو أن يكون بعد رمضان.)اهـ

التنبيه الأخير: أن نحافظ -كما ذكرت- على طاعة الله عز وجل في يوم العيد، فإن يوم العيد يوم فرح وسرور ومع ذلك ليس يوم معصية لله عز وجل، فافرح كما شئت لكن إياك إياك ومعصية الله عز وجل، وقد قال سفيان -رحمه الله- (أول ما نبدأ به يومنا غض البصر)[٢٧] لأن المرء في يوم العيد يمشي في الطرقات فإذا شاهد إحدى النساء فليغض بصره يا عباد الله، أو إذا ذهب إلى بيت أحد فلابد أن يغض بصره يا عباد الله[٢٨]، واحذروا جميع المنكرات والمعاصي التي تبعدكم عن الله تبارك وتعالى.

٢٧- رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع (٦٦) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٣).

٢٨- وذلك لقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبك يا محمد ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه مما قد نهاهم الله عن النظر إليه. ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم. ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له.)اهـ ثم قال: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ من أمتك ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه؛ ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم.)اهـ

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤١): (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد؛ فليصرف بصره عنه سريعاً.)اهـ

وفقني الله وإياكم لكل خير، وعيدكم عيد مبارك
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره: (أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها. ﴿ذَلِكَ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن غض بصره عن المحرم أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته مع داعي الشهوة؛ كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظاً، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه وعمل الأسباب الموجبة لحفظه لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقاً، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أتى بأداة «من» الدالة على التبعيض، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.)اهـ **ثم قال:** (لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج؛ أمر المؤمنات بذلك، فقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع.)اهـ